دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: العمارة العسكرية ببلاد الأندلس خلال العهد المرابطي
المصدر: مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية
الناشر: جامعة نواكشوط - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المؤلف الرئيسي: مرزوق، بتة
المجلد/العدد: ع40
محكمة: نعم
التاريخ الميلادي: 2019
الصفحات: 70 - 86
رقم MD: 1009460
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
اللغة: Arabic
قواعد المعلومات: HumanIndex
مواضيع: العمارة الإسلامية ، المنشآت الدفاعية، دولة المرابطين، بلاد الأندلس
رابط: http://search.mandumah.com/Record/1009460

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

العمارة العسكرية ببلاد الأندلس خلال العهد المرابطي

Military architecture in Andalusia during the Almoravid era

د. بتة مرزوق

أستاذ محاضر –أ–

قسم التاريخ جامعة محمد بوضياف، المسيلة – الجزائر

Betta.merzoug@univ-msila.dz

الملخص: نعتبر العمارة العسكرية أحد رموز القوة خلال الفترة الإسلامية، وذلك من خلال شكلها الهندسي والمعماري الذي يوحي بالقوة والصلابة والتفوق المعماري، وخصوصا في بلاد الأندلس التي أبرزت هي الأخرى تحفة فنية من خلال ملامح وشكل العمارة الحربية التي شهدتها في عصر المرابطين، حيث تميزت بالكثير من التفنن والإبداع في التحصينات المعمارية، التي أدت ولعبت دورا كبيرا في حماية البلاد والدفاع عن كرامة أهلها وعقيدتهم وشررفهم.

الكلمات المفتاحية: العمارة العسكرية – المرابطين – بلاد الأندلس – الأسوار –الأبراج – الحصون.

Abstract:

Military architecture is one of the symbols of power during the Islamic period, through its geometric and architectural form that suggests strength, solidity and architectural excellence, especially in the country of Andalusia, which also highlighted the masterpiece through the features and form of military architecture witnessed during the Almoravids era characterized by a lot of artistry and creativity in Architectural fortifications, which led and played a big role in protecting the country and defending their dignity, creed and honor.

key words: Military architecture - Almoravids - Andalusia - fences - towers - forts

مقدمة:

تعتبر العمارة العسكرية الإسلامية رافدا من روافد العمارة الإسلامية وعاملا مهما في استمرارية وسقوط الدولة والمماليك الإسلامية، بل كانت معيارا تقاس به مدى تطورها في الحضارة الإسلامية، ونعني بالعمارة العسكرية الإسلامية تلك المنشآت التي تمتاز بالحصانة والمناعة، والتي روعي في إنشائها عوامل جمة وكثيرة، خاصة الظروف الطبيعية والاجتماعية وكذا الاقتصادية، إضافة إلى تطور وسائل الدفاع والهجوم، وقد تنوعت العمارة العسكرية كما تطورت من فترة إلى أخرى، وكانت الأسوار بداية هذه التحصينات العسكرية لتدعم بالقلاع، والأبراج، والخنادق، وحتى الرباطات، كل هذه المنشآت هي عبارة عن تحصينات الغرض منها حماية كيان هذه الدول والذود عن دار الإسلام من الهجمات المعادية، ومن بين هذه الدول دولة المرابطين ببلاد الأندلس، فالمرابطين أولوا اهتماما كبيرا بالمنشآت الدفاعية وذلك من أجل حماية سلطانهم وملكهم ببلاد الأندلس من الهجمات النصرانية التي كانوا يتعرضون لها من وقت لآخر. ومن هنا حاولنا طرح التساؤل التالي: **فيما تمثلت أهم المنشآت العسكرية المرابطية ببلاد الأندلس؟**

كما اندرجت تحت هذا التساؤل الرئيسي عدّة تساؤلات فرعية، حاولنا الإجابة عنها في متن هذا المقال، تمثلت فيما يلي:

فيما تكمن أهمية ومميزات المنشآت الدفاعية التي أقامها المرابطين والموحدين منذ أن بسطوا سيادتهم في بلاد الأندلس، وجعلت منهم قوة عسكرية في منطقتهم؟

- هل أدت هذه المنشآت العسكرية دورها الدفاعي في الحفاظ على كيان دولة المرابطين؟.

- ما مدى تأثير هذه المنشآت على دولة المرابطين؟.

-ما هي أهم مواد البناء التي استعملها المرابطين في تشييد حصونهم؟.

أولا- <u>مفاهيم وتعريفات عامة حول العمارة العسكرية:</u>

تعد العمارة العسكرية من أهم المنشآت الحربية التي تهتم الدول بتشييدها، لأن الغرض منها هو الدفاع عن ممتلكاتهم، وقد استعملت الدول والممالك الإسلامية العمارة العسكرية بقصد التصدي وحماية دولهم من الغارات المهاجمة لهم، كما أنها تطورت بين الفترة والأخرى، ومن أهم المنشآت الحربية نذكر منها تلك التي بنيت في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس من قلاع وحصون، وأسوار، وأبواب وأبراج.

-تعريف العمارة:

أ-العمارة: لغة: مفرد مصدر عمِرَ وعمَرَ، جمعها عمارات وعمائر، وهي مبنى كبير في جملة مساكن.

اصطلاحا: وهي تشييد وبناء وإصلاح وتعمير عكسه هدم وخرب.[1]

ب-تعريف المنشآت العسكرية:

المنشآت العسكرية هي عبارة عن بنايات مختلفة ومتنوعة أنشأت وشيدت من أجل حماية المدن من الخطر الخارجي الذي يحدق بها، أو لتأدية دور عسكري، ومن بين هذه المنشآت العسكرية، نذكر: **القلاع والحصون والأسوار والأبراج.**

ج-أنواع المنشآت العسكرية:

يقصد بالمنشآت العسكرية، تلك الاستحكامات التي أنشأت لغرض دفاعي بالدرجة الأولى وبمختلف أنواعها. ونذكر من هذه المنشآت العسكرية، ما يلي:

1/القلاع والحصون:

القلاع مفرد قلعة وقلع وأقلعوا بهذه البلاد إقلاعا بنوها فجعلوها كالقلعة، وهي الحصن الممتنع في جبل، وجمعها قلاع وقَلَعٌ وقِلَعٌ[2]، أما **الحصون** عرفها ابن منظور فقال" الحصون مفردها حصن حَصُنَ المكان يحصن حصانة فهو حصين منع، وأحصنه صاحبه وحصنه، والحصن كلّ موضع حصين لا يوصل إلى ما في جوفه، والجمع حصون وحصن وحصين من الحصانة وحصَّنْتُ القرية إذا بنيت حولها، وتحصن العدو"[3]، كما عرفت على أنها عبارة عن مباني حصينة تميزت ببنائها العالي، وأبوابها الضخمة محكمة الإغلاق الأمر الذي يجعل صعب اقتحامها[4].

أشهر القلاع والحصون التي بنيت في بلاد المغرب الإسلامي منها تلك التي بناها المرابطين في أماكن متفرقة من البلاد، خاصة فوق جبل درن وذلك لمراقبة المصامدة الكثرة الغالبة من سكانه[5]، وقد ذكر البيذق في كتابه أخبار المهدي بن تومرت مدى اهتمام المرابطين ببناء الحصون فقال: "**أخذ المجسمون الحصون وبنوها في مواضع دارت بها الجبال من جميع الجهات لكي ينتصروا بها على الموحدين أعزهم الله فلم ينصرهم الله...**"[6]، حيث بنو قلعة تاسغيموت والتي تعد من أعظم القلاع التي أسسها المرابطين للدفاع ضد الموحدين[7]، قام ببنائها ميمون بن ياسين، وكانت بها قوة تقدر نحو مائتي فارس وخمسمائة من المشاة، فهي تقع على بعد ثلاث كيلوا مترات جنوب شرق مراكش[8] بالإضافة إلى قلعة بني تاودا والتي بنيت من قطع الحجر الغير مهذبة، لكنها هدمت ولم يبقى منها سوى أسوارها[9]، غير أنها زادت حاجتهم للقلاع والحصون عند قيام ثورت المهدي، حيث أضافوا العديد منها، أبرزها حصن أمرجوا.

كما كان نصيب للموحدين في بناء الحصون، منها قصبة المهدي التي بناها عبد المؤمن سنة 545هـ/1150م عند منصب وادي أبي الرقراق[10].

2/ الأسوار والأبواب:

عرف ابن منظور الأسوار فقال السّور جمع أسوار وسيرانُ وهو حائط المدينة، وسُرتُ الحائط سوراً وتسوَّرته إذا علوته[11]، أو حائط المنزل أو الحديقة أو غيرهما ويحول دون وصول الآخرين إليه بنو سورا عاليا حول المدينة، تسلقوا سور السجن[12].

لقد شكلت الأسوار أهم الاستحكامات الحربية في المدن، وذلك لكونها تعتبر وتعد من أهم المنشآت المعمارية الحربية التي يولي الحكام اهتماما كبيرا لإنشائها وتشييدها من أجل حماية مدنهم والدفاع عن ممتلكاتهم، والسور هو عبارة عن بناء مرتفع عن سطح الأرض يحيط بالمدين كلياً، إذا كانت مبينة في منخفض أو واد أو سهل، أو يحيط بها جزئياً كما في المدن التي تبنى في المناطق الجبلية[13].

تبنى الأسوار في الغالب بالحجارة وخاصة في المدن الجبلية وذلك بسبب وفرة المادة الأولية، أو بالآجر المحروق أو الطين النيء على شكل قوالب من اللبن المجفف تحت أشعة الشمس، أو على شكل كتل من الطين يبنى بها مباشرة وخاصة في مدن السهول والسواحل، أما عن ارتفاع السور وسمكه فإنه يكون مناسباً لموقع المدينة، وهو يختلف من مدينة لأخرى، ويدعم السور على مسافات محددة أبراج متنوعة الأشكال فمنها المربع والمستطيل ونصف الدائرة، وثلاثة أرباع الدائرة، وتكون هذه الأبراج ذات ارتفاع عن مستوى ارتفاع السور. كما تحتوي على عدد من العناصر الدفاعية كالمزاغل[14] والسقاطات والممشى بجدرانه وغيرها من العناصر التي يتم الدفاع بواسطتها عن المدينة[15].

منذ دخول يوسف بن تاشفين بلاد المغرب وترسيخ أقدامه فيها سنة أربع وخمسين وأربعمائة، شرع في بناء مدينة مراكش لكي يأوي إليها بحشمه وجنده[16] وبعد الانتهاء من بنائها قام بتحصينها، لكنه لم يكمل بناء أسوارها[17]، وفي هذا الشأن ذكر الناصري في كتابه الاستقصاء قال" ولم تزل مدينة مراكش لا سور لها إلى أن

توفي يوسف بن تاشفين رحمه الله وولى بعده ابنه علي بن يوسف ومضى معظم دولته، فأدار عليها السور سنة ست وعشرين وخمسمائة"[18]، كما نجد الموحدين أيضا قد اهتموا ببناء الأسوار، حيث أمر الناصر الموحدي سنة 601ه/1204م في بناء البعض منها، أما في سنة إحدى وستمائة بنى يعيش عامل أمير المؤمنين الناصر الموحدي سور مدينة بادس وسور المزمة وسور مليلة[19].

أما **الأبواب** هي مفرد باب وتعني المدخل وما تسد به فتحته من خشب ونحوه، والباب هو الفتحة القائمة في سور المدينة أو الحصن أو في واجهة المسجد أو المدرسة والمنبر والقصر[20]، ومن أمثلة الأبواب نذكر باب مراكش المرابطي والذي يعود تاريخ بنائه إلى عهد علي بن يوسف بن تاشفين والمعروف باسم باب العروس، يحتوي الباب على أبراج هذا النظام الذي اقتدى به الموحدين في إنشاء أبواب مدنهم ومبانيهم المدنية والعسكرية والدينية[21].

3/ الأبراج:

البرج جمع أبراج وبروج، والقصر المحصن مصادقا لقوله تعالى: ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**﴾[22]، والبرج هو البيت الذي يبنى على سور المدينة أو على سور القلعة، ويكون مرتفع البناء مستديرا أيضا أو مربعا يعتصم به المقاتلون، فهو يشبه قلعة صغيرة تشكل خط الدفاع المتقدم عن المدينة لذلك شكل البرج عنصرا دفاعيا هاما في أسوار المدن والقلاع والحصون وغيرها[23].

من أبرز وأشهر الأبراج التي بنيت في بلاد المغرب نذكر منها تلك التي نالت اهتمام الموحدين، وبنيت في عهد المهدي بن تومرت، برج تيظاف الذي قام ببنائه بتينملل[24] [25] مركز الدعوة الموحدية.

كما نجد أن أبراجهم قد تميزت بنوعين وهما:

- **الأبراج البرانية:** وهي التي تقع خارج السور، وتتصل بسور المدينة عن طريق ممرات تمتد على الجدران.
- **الأبراج المضلعة:** وقد غلب هذا النوع على مباني الدولة الموحدية[26].

ثانيا- <u>المنشآت الدفاعية المرابطية في بلاد الأندلس.</u> (الخريطة رقم:01).

تعتبر المنشآت الدفاعية من أهم العناصر الأساسية في بناء المؤسسة العسكرية وذلك بفضل دورها الكبير الذي تؤديه في حماية حدود الدولة من الأخطار الخارجية التي تحدق بها، حيث اهتم المرابطون ببناء وتشييد هذه المنشآت، بغرض حفظ الأمن والاستقرار، وكذلك لصد خطر الأعداء الذي يهدد دولتهم من الداخل والخارج.

أولا: الحصون:

اهتم المرابطون ببناء الحصون في بلاد الأندلس لحماية دولة المسلمين من خطر النصارى، حيث نجد أنهم قاموا ببناء تلك الحصون في المناطق الوعرة لكي يصعب الوصول إليها[27]، حيث بنو هذه الحصون بالحجارة كما شحنوها بالمئونة والأسلحة لكي تصمد مدة طويلة أمام الحصار[28]، وكان يتولى قيادتها والدفاع عنها شخصيات وقوات أندلسية[29]، فقد كان ذلك عندما عبروا العبور الأول إلى بلاد الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين، بعد استغاثة ملوك الطوائف به ضد الاعتداءات النصرانية في سنة تسع وسبعين وأربعمائة(479ه/1086م)[30]، وهذا

ما ذكره ابن الخطيب صاحب كتاب الحلل الموشية حيث قال: "لما احتل يوسف بن تاشفين بالجزيرة شرع في بناء أسوارها وما تشعث من أبراجها وحفر الحفير عليها وشحنها بالأطعمة والأسلحة ورتب فيها عسكرا نقيا من نخبة رجاله وأسكنهم بها"[31].

من أهم الحصون التي بناها المرابطون **حصن منتقوط (أنظر الصورة رقم01)**، الذي بني في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف، حيث يقع هذا الحصن في مدينة مرسية في الأندلس[32] على بعد أربعة كيلوا مترات شمال شرقي هذه المدينة، فقد احتذى الموحدون من هذا الحصن في بناء قصورهم التي قاموا بتشييدها في مدينة إشبيلية ومالقة وقرطبة، وذلك لما يمتاز به من تناسق تام في مخارج سوره ومداخله، وأيضا في توزيع غرفه، كما يتوسطه صحن مستطيل يطل على جانبيه القصيرين جوسقان مربعان بارزان[33]، فقد كان بناء هذا القصر يمثل المرحلة الأولى للفن الأندلسي في الثلث الأول من القرن الثاني عشر الميلادي، وهو اليوم يطلق عليه اسم القصير Elcastillejo[34].

في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة(523ه/1129م) عين علي بن يوسف ابنه تاشفين الذي عرف ببطولته وشجاعته على ولاية الأندلس، وبالتحديد إمارة غرناطة ولعل هذا ما جعل أبوه يعينه على الأندلس[35]، فقد ذكر ابن الخطيب الأمير تاشفين في كتابه حيث قال: "... لما ولاه أبوه عليها، وكان بطلا شجاعا حسن الركبة والهيئة، وكان يسلك طريق الشريعة ولاه أبوه على الأندلس فقوى الحصون وسد الثغور وأذكى العيون على العدو..."[36].

من خلال عرضنا للتحصينات المرابطية أوجب علينا أن نذكر المواد التي استخدموها في تحصين منشآتهم الدفاعية، ومن بين هذه المواد نجد الطابية والتراب والحجر والطوب، والمقصود بالطابية عند ابن خلدون التي ذكرها في كتابه المقدمة حيث قال: " ... لوحين صغيرين يوضع فيهما التراب مخلطا بالكلس ويركز بالمراكز المعدة حتى ينعم ركزه ويختلط أجزاؤه بالكلس ثم يزاد التراب ثانيا وثالثا إلى أن يمتلئ ذلك الخلاء بين اللوحين وقد تداخلت أجزاء الكلس والتراب وصارت جسما واحدا"[37].

ثانيا: الأسوار

تعتبر الأسوار من أهم العناصر المهمة في بناء المنشآت الدفاعية، وهذا راجع إلى الدور الذي تؤديه في تحقيق الأمن للمدينة، فهذا ما نجده عند المرابطين الذين اهتموا ببناء الأسوار منذ دخولهم إلى بلاد الأندلس، حيث جعلوها تحيط بمدنهم من جميع الاتجاهات وذلك لتكون درعا واقيا لهم، ولصد خطر النصارى أيضا ووضع العراقيل أمامهم، فنجد أن يوسف بن تاشفين عندما غادر المغرب متجها إلى بلاد الأندلس، نزل بالجزيرة وأول ما قام به هو بناء أسوار الجزيرة حيث أشرف على بناءها بنفسه، وهذا ما ذكره صاحب كتاب الحلل الموشية عندما قال: "... لما احتل يوسف بن تاشفين الجزيرة شرع في بناء أسوارها"[38].

أما في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، فقد أخذت أسوار المرابطين شكل ونظام جديد[39]، حيث فرض في عهده ضريبة على أهل المرية وغيرها من المدن الأندلسية لاستعمال أموال الضرائب في إقامة الأسوار الجديدة بالمدن الرئيسية، وترميم القديمة منها[40].

ففي سنة 530هـ/1136م بعث أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين كتابه إلى الأندلس، يخبرهم فيه بضرورة بناء الأسوار، وقد ذكره في كتابه شخصيات أوكل إليها مهمة الإشراف في البناء ومن بينهم أبا عمر ينالة اللمتوني الذي أوكل إليه مهمة بناء أسوار مدينة غرناطة وترميم ما خرب منها، غير أنه كان يرهق الأهالي بدفع الضرائب فغضب أمير المسلمين لهذا الأمر فقام بعزله وعين مكانه أبا حفص عمر بن أمير المسلمين الذي أشرف على بناء أسوار مدينة قرطبة، فتم ذلك وأكملت الأسوار في أسرع وقت[41]، غير أن جزء كبير من هذه الأسوار هدم بسبب السيل الذي صدمها، ونجد منها باب الرملة وباب البيرة **(أنظر الصورة رقم 06)**، لكن أهل الأندلس لم يقفوا مكتوفي الأيدي حيث قام أهل قرطبة بإصلاح أسوارهم وترميمها دون تعتيب وضغط، وكذلك نفس الشيء بالنسبة لأهل إشبيلية اتجاه أسوارهم[42].

ومن أمثلة الأسوار المرابطية التي بنوها نذكر:

-أسوار مدينة ألمرية:(أنظر الصورة رقم02)

قام ببنائها ابن العجمي وساعده في ذلك سكان مدينة المرية وقدموا إليه ما عليهم من ضرائب، فاستعان ببعض المختصين من أهل الأندلس في بناء الأسوار وترميمها[43]، وفي هذا الشأن تحدث ابن عذارى في كتابه البيان حيث قال: " وتولى النظر في أسوار ألمرية رجل منهم يعرف بابن العجمي من أصحاب ميمون، فأخذ بالحزم واستكثر بالسياسة والعزم، ولم ينفق شيئا من المال إلا في موضعه، ولا استعان إلا بمن جد في نصحه ورأى الناس ذلك فتساهلوا في الأداء وتواصلوا حمل تلك الأعباء فكمل السور على واجبه من التحصين والتحسين، بيسير من المونة دون ضرب ولا سجن"[44].

-أسوار مدينة قرطبة:

بنيت أسوار مدينة قرطبة في عهد علي بن يوسف بن تاشفين غير أنها هدمت بسبب السيل الذي أصاب المدينة، هذا ما جعل أهل المدينة يسارعون إلى ترميمها وإصلاح ما أتلف منها، دون أن يلتزموا بدفع ضريبة التعتيب حيث أمر والي هذه المدينة أن يقوم كل سكان الحي بإصلاح وترميم وتشييد أسوار حيهم، وكانت من أهم هذه الأسوار التي تم تشييدها السور الشرقي الواقع شمال شرقي مدينة قرطبة، حيث امتاز هذا السور بأبراجه المستطيلة الضخمة المتقاربة[45].

-أسوار مدينة إشبيلية: (أنظر الصورة رقم 03)

في سنة 526ه/1132م أمر علي بن يوسف أهل إشبيلية ببناء أسوارها[46]، على جهة نهر الوادي الكبير، فلم يعارض أهل المدينة ذلك وشرعوا في البناء حيث امتازت هذه الأسوار بأبراج مستطيلة قليلة البروز وكانت تنفتح على مداخل يحيط كل طرفي منها على بابان متواجهان[47].

بالإضافة إلى أسوار أخرى منها سور شريش[48] **(أنظر الصورة رقم04)** وسور لبلة[49] التي بنيت أيضا في عهد علي بن يوسف[50]، وسور مدينة غرناطة ومالقة **(أنظر الصورة رقم:05)** وبطليوس[51].

ومع تزايد خطر النصارى وكذلك خطر الموحدين الذين أصبحوا يشكلون عائقا وخطرا أمام دولة المرابطين في بلاد المغرب والأندلس، زادت حاجة المرابطين إلى بناء الأسوار، وهذا ما نجده في عهد أمير المسلمين تاشفين بن علي الذي اهتم هو أيضا ببناء الأسوار وإصلاح وترميم ما خرب منها، للوقوف في وجه الأعداء والمحافظة على كيان دولتهم[52].

أما فيما يخص شكل الأسوار التي بناها المرابطين، فقد كانت ذات خطوط متعرجة ومنكسرة، بالإضافة إلى كثرة الزوايا الداخلية والخارجية فيها، التي ساعدت الجنود وسهلت مهمتهم في القضاء على أعداهم و حصارهم عند تقدمهم داخل إحدى هذه الزوايا، حيث أن هذا النظام الذي اتخذه المرابطون في بناء أسوارهم جعل هذه الأسوار تتميز على غيرها على غيرهم من الأسوار الدفاعية، كما أضافوا دروب في أعلى السور لكي يسير عليه المحاربون، حيث أطلق عليها المؤرخون اسم ممشى السور، فقد كان يتألف الدرب من شرفات يستعملها المحاربون في قذف سهامهم على الأعداء، حيث تقع في هذه الشرفات دروات يحتمون من خلفها كما تتخلل داخل هذه الدروات فتحات تساعدهم على النظر في أسفل السور دون أن يتعرضوا إلى أسهم الأعداء[53].

إنّ المواد التي استعملت في بناء هذه الأسوار، فلقد أجمع المؤرخون على أن المرابطون قد استخدموا المواد المحلية المتمثلة في مادة الحجارة في مختلف منشآتهم العسكرية، بالإضافة إلى الطابية التي ذكرناها سابقا[54]، والآجر والجص الملون ذات اللون الأحمر والأصفر الذي استعملوه في جدران السور[55].

من خلال عرضنا لعنصر الأسوار التي بنيت، وجب علينا التطرق إلى الأبواب التي كانت لا تخلو منها الأسوار، حيث نجد أن المرابطين قد تفننوا في بناءها، ومثالا على ذلك أن كل مدينة من المدن المرابطية كان يتخلل أسوارها بابان متقابلان لكي تصل داخلها بخارجها فالباب الأول كان ينفتح إلى الداخل والأخر ينفتح نحو الخارج، بالإضافة إلى استخدامهم نوع آخر من الأبواب عرفت باسم الأبواب ذات المرافق، فهذا النوع كان قائم على زاوية ذات شكل مرفق تقع في الممر الرابط بين فتحتي الباب، إلا أن هذا النوع قد ساعد المهاجمين المرابطين بشكل كبير في صد هجمات الأعداء، بالإضافة إلى أنها قد شكلت عقبات أمامهم الأعداء وهذا راجع إلى فضل الزوايا القائمة فيها، ومن أمثلة هذه الأبواب ذات المرافق نذكر منها بابde los pesos وباب monaita التي أقامها المرابطون على أسوار غرناطة، وكذلك باب آخر في مدينة لبلة[56].

ثالثا: الأبراج

بعدما تحدثنا على الأسوار وأبوابها ننتقل إلى الحديث على الأبراج التي تعتبر عنصرا دفاعيا هاما في أسوار الحصون والقلاع، حيث نالت اهتمام المرابطين، فقد بذلوا جهدا كبيرا في إقامتها فنجد مثلا يوسف بن تاشفين قد أعاد تشييد وترميم أبراج الجزيرة الخضراء عندما حل بها[57]، حيث كانت تبنى هذه الأبراج في الأماكن العالية

من السور وتأخذ مساحة معينة منه، وكانت مهمة هذه الأبراج استطلاع ومراقبة العدو، وإرسال الإشارات الضوئية بين المدافعين من أجل إعلان الخطر واقتراب العدو ونحو المدينة[58].

أما من حيث شكلها فقد أخذت شكلا مسننا تكثر فيه الزوايا، ويعلوها سور تتخلل جدرانه مزاغل[59] لحماية الجند[60].

عرف المرابطين نوع آخر للأبراج وهي الأبراج ذات الشكل المسدس، عرفوها من خلال احتكاكهم وتأثرهم بالعمارة البيزنطية، حيث شيدوها على أسوارهم، نذكر منها البرج المنعزل في مدينة العقاب (لا نافا دي تولوسا) والذي يقع بالقرب بمدينة جيان[61]، بالإضافة إلى برج القاضي الذي يقع في مدينة غرناطة[62].

لقد أثرت العمارة الأندلسية على العمارة العسكرية المرابطية في بلاد المغرب حيث أبدا أمراء المرابطين إعجابهم الكبير بفن العمارة في بلاد الأندلس والمهارة الفائقة التي تطغى عليها من خلال تفنن عمال البناء الأندلسيين فيها من دقة وتشييد وزخرفة[63]، فقد أجمع المؤرخين على أن عصر المرابطين يعتبر عصر الفن الأندلسي المغربي في العمارة حيث يظهر الطابع المغربي والأندلسي معا في بناء الحصون والأسوار والقلاع والمساجد وغيرها من المنشآت[64].

وكدليل على التأثير الأندلسي في بلاد المغرب نجد مثلا الأمير يوسف بن تاشفين أنه قد جلب على بلاد المغرب أمهر البنائين والمهندسين ليستعين بهم في بناء مدينة فاس[65]، والتي كان قد فتحها يوم الخميس من جمادى الثاني سنة اثنين وستين وأربعمائة(462ه/1069م)[66] كما أضافوا فيها الفنادق والحمامات والسقايات.

وكذلك نفس الشيء بالنسبة لعهد الأمير علي بن يوسف، الذي عرف باهتمامه الكبير بالبناء أكثر من والده، حيث نجد أنه في عهد قد أحضر هو أيضا المهندسين البارعين من بلاد الأندلس لبناء قنطرة وادي تاسيفت[67]، وقد ذكر لنا الحميري صاحب كتاب الروض المعطار هذا الوادي فقال: "**... وكان أمير المؤمنين علي بن يوسف بنى عليه قنطرة عظيمة متقنة البناء بعد أن جلب إلى عملها صناع الأندلس وجملة من أهل المعرفة بالبناء فشيدوها وأتقنوها حتى كملت**"[68]، كما استعان في بناء قلعة تسجيموت بالبناء الفلكي الأندلسي[69]، وكذلك قلعة أمرجوا التي تتمازج في بناءها التقاليد المغربية مع التأثيرات الأندلسية، كما يبرز فيها التأثير النصراني الذي جاء به النصارى المرتزقة الذين كانوا ضمن الجيش المرابطي، حيث تتجلى هذه التأثيرات المسيحية في الأبراج المستديرة[70].

أما مدينة مراكش التي بناها يوسف بن تاشفين سنة أربع وخمسين وأربعمائة(454ه/1062م) عند دخوله بلاد المغرب[71]، والتي أكمل بناء أسوارها علي بن يوسف حيث تم ذلك بعد فتوى من الفقيه القاضي أبي الوليد بن رشد، حيث جلب البنائين الماهرين في بناء أسوار مدينة مراكش، والذي استغرق بناءه ثمانية أشهر، أما تكاليف بناءه قد بلغت حوالي سبعين ألف دينار من الذهب، غير أن علي لم يقف عند سور مراكش بل شمل جميع أسوار المدن المغربية[72].

إنّ المرابطين عندما جلبوا المهندسين الأندلسيين إلى بلاد المغرب لم يكتفوا بالاستعانة بهم في بناء الأسوار فقط، بل اعتمدوا عليهم أيضا في بناء وتشييد منشآت أخرى من بينها المساجد، حيث نجد أنهم قد قلدوا تخطيط مسجد جامع قرطبة في مسجدهم بتلمسان تقليدا دقيقا بالإضافة إلى جامع القرويين بمدينة فاس الذي بني سنة 245ه/859م، هذا الأخير قد أضاف عليه القاضي أبي أحمد عبد الحق منبر بني بأسلوب أندلسي مغربي[73].

-خاتمة:

وفي الأخير يمكننا القول بأنّ المنشآت المرابطية الدفاعية تعددت وتنوعت من حصون وقلاع وأبراج وغيرها من المنشآت وما حملته من دقة في البناء، وفن في الزخرفة، ولكن مع قدوم خطر الدولة الجديدة التي نهضت وقامت على أعقاب الدولة المرابطية، والتي هي الدولة الموحدية هذه الأخيرة علمت بكل جهد على الاستيلاء على هذه المنشآت المرابطية، وجميع ممتلكاتها، حيث سقطت الدولة المرابطية سنة 541ه على يد مؤسس الدولة الموحدية عبد المؤمن الموحدي.

- الهوامش:

01- أحمد عمر مختار ، معجم اللغة ،مج1، ص .1552

02 - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص.282

03 - نفسه، ج3، ص.208

04 - سالم أبو القاسم محمد غومة ، تطور المؤسسة العسكرية ، ص .44

05 - علي حسن حسن ، الحضارة الإسلامية ، ص .392

06 - أبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق، أخبار المهدي بن تومرت ، ص .90

07 - عبد المنعم محمد حسين حمدي ، التاريخ السياسي ، ص .377

08 - علي حسن حسن ، المرجع السابق، ص.393

09 - عبد المنعم محمد حسين حمدي ، المرجع السابق، ص.377

10 - علي حسن حسن ، المرجع السابق، ص .394

11 - ابن منظور، المصدر السابق، ج6، ص.426

12 - أحمد عمر مختار ، المرجع السابق، ص .1133

13 - خالد عزب، أسوار وقلعة صلاح الدين، ص.09

14 - المزاغل: من الناحية المعمارية عبارة عن فتحة لرمي السهام على هيئة شق مستطيل الرأس أو مربع، ضيق من الخارج ومتسع من الداخل لتسهيل حركة المدافعين. أنظر: خالد عزب، المرجع السابق، ص.18

15 - خالد عزب، المرجع السابق، ص.09

16 - الناصري، الاستقصاء، ص .22

17 - ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ص.21

18 - الناصري ، المصدر السابق، ص.23

19 - علي حسن حسن ، المرجع السابق، ص .396

20 - عاصم محمد رزق ، معجم مصطلحات العمارة، ص .23

21 – محمد رابح فيسه ، المنشآت المرابطية، ص.49

22 – القرآن الكريم، سورة النساء: الآية .78

23 – عاصم محمد رزق ، المرجع السابق، ص.34

24 – تينملل: جبال ببلاد المغرب بها قرى ومزارع يسكنها البرابر، بين أولها مراكش، سرير ملك بني عبد المؤمن اليوم، نحو ثلاثة فراسخ، بها كان أول خروج محمد بن تومرت المسمى بالمهدي، الذي أقام الدولة. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص.69

25 – سالم غومة ، المرجع السابق، ص .109

26 – سالم غومة ، المرجع السابق، ص .44

27 – علي محمد الصلابي ، فقه التمكين عند دولة المرابطين، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2006، ص 185.

28 – غومة سالم، المرجع السابق، ص ص.4445

29 – أبي الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص.145

30 – لسان الدين ابن الخطيب، الحلل الموشية ، ص ص 33، .34

31 – سالم غومة ، المرجع السابق، ص.46

32 – عبد العزيز سالم السيد ، المساجد والقصور ، ص.139

33 – عبد المنعم محمد حسن حمدي ، المرجع السابق، ص.376

34 – ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص.80

35 – ابن الخطيب، المصدر السابق، ص .90

36 – عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة، ص .512

37 – ابن الخطيب، المصدر السابق، ص ص 33، .34

38 – عبد المنعم محمد حسن حمدي ، المرجع السابق، ص.374

39 – عبد العزيز سالم السيد، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص.91

40 –ابن عذارى ، المصدر السابق، ج4، ص ص 73، .74

41 – محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس، ص.115

42 – عبد المنعم محمد حسن حمدي ، المرجع السابق، ص .375

43 – ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص .74

44 – عبد المنعم محمد حسن حمدي ، المرجع السابق، ص.375

45 –ليوبولدو توريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي، ترجمه: سيد غازي، د:ط، دار المعارف، مصر، 1971م، ص.36

46 – عبد المنعم محمد حسن حمدي ، المرجع السابق، ص376.

47 – شريش: من كور شذونة بالأندلس بينها وبين قلشانة خمسة و عشرون ميلا وهي على مقربة من البحر يجود زرعها ويكثر ربعها، أنظر: محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار، ص .340

48– لبلة: في غرب الأندلس مدينة قديمة، من إشبيلية إلى طليطلة مرحلة عشرين ميلا، ومن طليطلة إلى لبلة مرحلة مثلها، وتعرف لبلة بالحمراء، أنظر: الحميري ، المصدر السابق، ص .507

49 – ليوبولدو توريس بالباس، المرجع السابق، ص .36

50 – عبد العزيز سالم السيد ، المساجد والقصور ، ص.160

51 – سالم غومة ، المرجع السابق، ص .50

52 – عبد المنعم محمد حسن حمدي ، المرجع السابق، ص .374

53 – محمد رابح فيسة ، المرجع السابق، ص .45

54 – عبد العزيز سالم السيد، تاريخ المغرب، ص.677

55 – عبد العزيز سالم السيد، المساجد والقصور في الأندلس، ص .164

56 – بن عطية الله إبراهيم بن هلال السلمي، العدوة الأندلسية، ص .280

57 – محمد عياش ، الاستحكامات العسكرية ، ص .31

58 – مزاغل: جمع مزغل، وهي فتحة ضيقة في سور المدينة أو القلعة أو الحصن أو البرج أو البوابة تطلق منها الرماح والسهام وغيرها من المقذوفات على المهاجمين، كما تستخدم في نفس الوقت منفذا للتهوية والإضاءة والمراقبة وقد اعتاد المعمار المسلم أن يجعلها ضيقة من الخارج ومتسعة من الداخل لتمكين المكلف بالحراسة فيها من قذف رماحه وسهامه على المهاجمين لها في سهولة وسير، أنظر: عاصم محمد رزق ، المرجع السابق، ص .277

59 – محمد رابح فيسة ، المرجع السابق، ص .46

60 – جيان: مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة عشرون ميلا وهي كثيرة الخصب، بها زائد على ثلاثة آلاف قرية، أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص .183

61 – عبد العزيز سالم السيد، المساجد والقصور في الأندلس، ص .161

62 – علي حسن حسن، المرجع السابق، ص .374

63 – إبراهيم حركات، المغرب، ص .221

64 – علي حسن حسن، المرجع السابق، ص .375

65 – الناصري، المصدر السابق، ص .27

66 – إبراهيم حركات ، المرجع السابق، ص .222

67 – الحميري، المصدر السابق، ص .127

68 –ليوبولدو توريس بالباس، المرجع السابق، ص .36

69 – عبد المنعم محمد حسن حمدي ، المرجع السابق، ص .378

70 – الناصري، المصدر السابق، ص .22

71 – سالم غومة ، المرجع السابق، ص .49

72 – عبد العزيز سالم السيد ، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، ص .92

73 – عبد المنعم محمد حسن حمدي ، المرجع السابق، ص ص 364 366.

-الملاحق:

-الخريطة رقم 01: خريطة بلاد الأندلس خلال عهدي المرابطين والموحدين، (أنظر: حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة في تاريخ المغرب في العصور الوسطى، د: ط، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، د: ت، ص7 (بتصرف))

الصورة رقم01: حصن منتقوط بمدينة مرسية(أنظر: الموقع الإلكتروني
بتاريخ 2017/10/12، على https://twitter.com/ssaassgh/status/721430974555299842
الساعة 19:00.

الصورة رقم 02: الأسوار مدينة ألمرية،(أنظر: السيد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص460).

الصورة رقم 03: أسوار مدينة إشبيلية، (أنظر السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، ص 180.)

الصورة رقم 04: أسوار وأبراج مدينة شريش،(أنظر: عنان محمد عبد الله، الآثار الباقية في إسبانيا والبرتغال، ص 301.)

الصورة رقم05: سور وقصبة مالقة، (أنظر: مجاهد بهاء الدين، "تاريخ المغرب والأندلس"، مجلة كان التاريخية، العدد 32، يونيو شعبان، 1437ه/2016م، ص158.)

الصورة رقم06: باب إلبيرة بمدينة غرناطة، (أنظر: عنان محمد عبد الله، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ص 175.)

-قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

-أ -المصادر:

- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: إحسان عباس، ج4، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.

2- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت 711ه)، لسان العرب، ج03، ج06، ج11، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط3، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، 1999.

[3]– أبي الحسن على بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1972.
4– أبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق: عبد الوهاب منصور، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.
[5]– الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.
[6]– عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة، راجعه: سهيل زكار، د:ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م.
7–الحميري محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.
[8]– لسان الدين ابن الخطيب، الحلل الموشية في ذكر أخبار المراكشية، صححه البشير الفورتي، ط1، مطبعة التقدم الإسلامي، تونس، د:ت.
9–ياقوت الحموي، معجم البلدان، د: ط، ج2، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، 1993م.

ب–المراجع:

– السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، د: ط، الناشر مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، 1986م.
2– السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، د:ط، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع 1986م.
[3]– السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، د:ط، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1999م.
[4]– السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، قاعدة أسطول الأندلس، د:ط، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، 1984م.
[5]– الصلابي علي محمد، فقه التمكين عند دولة المرابطين، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2006.
[6]– حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج1، د: ط، دار الرشاد الحديثة للنشر والتوزيع، 2000م.
[7]– حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م.
8– حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، د: ط، دار المعرفة الجامعية، د: ت.
9– خالد عزب، أسوار وقلعة صلاح الدين، ط01، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006.
[9]– عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1991م.
[10]– مختار أحمد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج1، ط1، عالم الكتب، 2008م.
[11]–رزق عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مكتبة مدبولي، 2000م.
[12]– ليوبولدو توريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي، ترجمه: سيد غازي، د:ط، دار المعارف، مصر، 1971م

ت–الرسائل الجامعية:

– بن عطية الله إبراهيم بن هلال السلمي، العدوة الأندلسية منذ عصر ملوك الطوائف إلى سقوطها في أيدي الإسبان 422–867ه/1030–1462م، بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1430ه.

[2]– عياش محمد، الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد والمنصورة بتلمسان، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 2005–2006م.

3– غومة سالم أبو القاسم محمد، تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين في الفترة من(451–668هـ/1059–1269م)، قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الإجازة العالية(الماجستير)في التاريخ الإسلامي، قسم العمل الاجتماعي، جامعة الفاتح، ليبيا، 2003–2004م.

[4]– فيسه محمد رابح، المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة دراسة تاريخية أثرية، رسالة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2004–2005م.

ث–المقالات:

–مجاهد بهاء الدين، "تاريخ المغرب والأندلس"، مجلة كان التاريخية، العدد 32، يونيو شعبان، 1437ه/2016م.

ج–المواقع الإلكترونية:

http//:twitter.com/ssaassgh/status/721430974555299842